# التصوف العرفاني السني عند محمد بن يوسف السنوسي (ت 895هـ/1489م)

د. الطاهر بونابي*

مقدمـــة: نشأ محمد بن يوسف السنوسي تـ 895هـ/1489م في بيت صوفي شريف، فأبوه يوسف بن عمر بن شعيب السنوسي، كان زاهداً ومتعبدا وأمه حسنيه من الأشراف، درس في صغره عن أبيه عن الشيخ نصر الزواوي، وأخذ القراءات السبع للقرآن عن الشريف أبي الحجاج يوسف بن أبي العباس، والفقه ممثلا في مدونة سحنون عن الفقيه محمد بن إدريس بن عيسى المغيلي، ورسالة بن أبي زيد القيرواني عن أخيه على التالوتي والحديث عن عبد الرحمن الثعالبي، والفرائض والحساب عن محمد بن قاسم بن تونرت الصنهاجي، والاسطرلاب عن أبي عبد الله بن محمد بن الحباك، وعلم الأصول وجمل الخونجي عن أبي عبد الله محمد بن العباس العابدي، والتوحيد عن أبي القاسم المكناسي[1].

لذلك سمح له هذا التكوين المتنوع أن يخوض في علوم كثيرة، كان أبرزها علم الكلام والعقائد والتصوف، والتي بات من العسير الفصل بين مسائلها في مقاله الفلسفي والعقدي والصوفي المبثوثة في مؤلفاته العقدية، وردوده الفقهية، منها: «شرحه لأسماء الله الحسنى»، وفي رده على أبي الحسن الصغير في «نصرة الفقير»، فضلاً على أفكاره العرفانية في مخطوط «المواهب القدسية في المناقب السنوسية» لتلميذه محمد بن عمر الملالي تـ 10هـ/16م، وما استدركه أحمد بابا التنبكتي تـ 1036هـ/1627م، بعد ذلك أيضا في مخطوطة «اللآلىء السندسية في الفضائل السنوسية»، وهي كلها نصوص تكشف عن طبيعة تصوف التوحيد العرفاني عند السنوسي في صورته الكاملة[2].

*- أستاذ محاضر أ في تاريخ المغرب الإسلامي- قسم التاريخ وعلم الآثار- جامعة محمد بوضياف- المسيلة.

فما هي المؤثرات الصوفية والعقلية التي أثرت في منحاه الفلسفي والعقدي والصوفي؟ وكيف اتخذها اطارا في صياغة منحاه في التصوف العرفاني السني؟

1- المؤثرات الصوفية والعقلية في تكوين السنوسي: كشف السنوسي عن انتمائه لأولياء المقامات والتوحيد العرفاني في قوله: «ونحن بالنسبة لهذا المقام، مقام أولياء الله تعالى وخاصة حضرته على ساحل التمني نغترف من بحر التوحيد والعرفان، الذي خاضوا لجته وغابوا فيه بقدر الإمكان»[3]، وبهذا الاعتراف يكون السنوسي قد كفى الباحثين مؤونة البحث في اسكتشاف وجهته الصوفية، لكن السؤال الجدير بالتقصي يتمحور حول الإحاطة بالمصادر والمؤثرات التي نهل منها السنوسي في تكوين أطروحته في تصوف التوحيد العرفاني السني؟ والتي وردت في نصوص التاريخ والتراجم والمناقب والعقائد متعددة المشارب منها، ما يخص تأثره بأمهات المصادر والمدارس الصوفية في المشرق، ومنها ما هو متعلق بالمؤثرات العقلية والصوفية العائدة إلى عصر الموحدين، فضلا على تأثره بمناخ العرفان السني الذي ساد مدينة تلمسان منذ أوائل القرن الثامن الهجري، وصار يمثل هوية هذه المدينة.

فعلى مستوى المصادر والمدارس الصوفية المشرقية، أظهرت الكتابة الصوفية عند السنوسي أنه عاد بالفكر العرفاني السني إلى منابعه الصافية، أي إلى كل من مدرسة أبي القاسم الجنيد تـ 298هـ/911م في التوحيد والمجاهدات والذكر والتدرج نحو مقام الرضا، والإقرار بالفرق في مقام الجمع، وبالسكر مع الصحو والفناء مع البقاء، ومدرسة أبي حامد الغزالي تـ 505هـ/1111م في المجاهادات والذكر والتوفيق بين الحقيقة والشريعة، وفي توبيخ النفس من خلال كتابيه «توبيخ النفس من إحياء علوم الدين»[4]، و«نصرة الفقير في الرد على أبي الحسن الصغير»، الذي شدد فيه على حتمية التلازم بين الحقيقة والشريعة معتبرًا أن سلوك الطريق القويم بدون أحدهما زندقة، وركز على المعرفة كنور وحكمة في صدور العلماء، وعلى الذكر الذي يشهد للذاكر بإفراد الإيمان لله وحده ويصفي بالقلب إلى الفراغ من التعلق بشيء إلا الله والتوكل عليه دون سواه[5]، وهذا ما جعل تلميذه محمد بن عمر الملالي تـ ق10 يقول أن شيخه السنوسي كان على طريقة الغزالي[6].

ويعكس منحاه في التأصيل للتصوف العرفاني السني اختصاره وشرحه لثلاثة أعمال صوفية مشرقية هي: اختصاره لرعاية المحاسبة، وشرحه لبغية السالك في أشرف المسالك للساحلي، وأبيات الإمام أبي إسحاق إبراهيم بن مسعود الإلبيري في التصوف[7].

كما كان كتاب «مفتاح الفلاح» لابن عطاء الله السكندري تـ 709هـ/1309م من مقروءاته الدائمة[8]، فقد تأثر به في قضايا استهداف مقام الرضا[9]، واستشعار الحقيقة الإلهية وصدق العبودية والقيام بحقوق الربوبية بوصفها مطلب العارف من الله تعالى[10]، وفي فكرة الزهد[11]، والجمع بين البسط والقبض[12]، والشهود والفناء[13]، واعتبار الذكر طريقًا لتحقيق ذوق التوحيد والطمأنينة واليقين والحضور والغيبة، والشكر واسقاط التدبير[14].

وفيما يخص تأثير الإنتاج العقلي والصوفي لأساطين الفكر الصوفي خلال عصر الموحدين، فقد كان قويًا في تجربة السنوسي، وفي أقرانه من التلمسانيين خلال القرن التاسع الهجري/15م.

ومن القرائن في هذا المضمار اهتمام التلمسانيين بمرشدة المهدي بن تومرت تـ 524هـ/1118م والتبرك بقراءتها لقول الصوفي أبي عبد الله محمد بن أبي العباس النقاش : «رأيت العقيدة المعروفة بالمرشدة المنسوبة إلى الإمام المهدي رحمه الله، كثيرا ما يستعملها أهل الفضل من الصوفية ويقرؤونها على جهة التبرك في أذكارهم، وقد تشوف بعضهم إلى بسط ألفاظها وشرح معانيها»[15]، ومن هؤلاء محمد السنوسي وذلك لما تتضمنه من عبارات التذكير بأمور التوحيد وبقدرة الله على كل أمر وعظمته في كل شيء[16]، ثم إنها تمثل التفكير الأشعري السّنيّ، الذي يعتبر المذهب الأشعري همزة الوصل بين الفكر التومورتي وفقهاء المالكية الذين لم يشجبوا فكرة ابن تومرت وعقيدته تعد انتصارا للعقائد السلفية والذب عنها بالحجج العقلية[17]، لقول عبد الرحمان بن خلدون «لم يحفظ عنه –بن تومرت– فلتة من البدعة إلا ما كان من وفاقه الإمامية من الشيعة في القول بالإمام المعصوم»[18].

فضلا على تشديد بن تومرت فيها على وجوب الشيخ في طريق التربية، فكانت بذلك سند السنوسي في السجال الذي دار في عصره حول هل يصح اتخاذ الشيخ في طريق التصوف أو عدم اتخاذه أو الاكتفاء بالكتب المدونة؟

وإلى جانب المرشدة كانت كتب التوحيد في عصر السنوسي الأكثر قراءة في حلقات الذكر، لقول الونشريسي: «وفيها يقرؤون بعض ما ألف في توحيد الله تعالى، معانيه كلها واضحة لائحة»[19].

ومن أكثر هذه المؤلفات تأثيرا كتاب «الإرشاد في علم الاعتقاد» لأبي المعالي عبد الملك بن عبد الله الجويني الشافعي الذي اعتبره ابن صعد التلمساني تـ 901هـ/1469م مدونة علم التوحيد التي صارت لا غنى عنها في حلقات الذكر وميعاد الدرس بتلمسان، واستعاض في وصفه لأهمية هذا المؤلف بقول أحد الفقهاء[20] (الكامل):

مَـن كَانَ مُعتنيًا بذكرِ مَعـاد ... ومعيـدةُ فَعَليـه بالإرشَـاد

وليَحتَـرِس بِسَبيلـه ودَليلـه ... مـن ظُلمة التَشكيك والإلحَـاد

عَـول عَليه تَزَيّنًا فَكَفَـى بـه ... ذخـرًا ليـوم تُجمـعُ الأشهَاد

وقد أخذ السنوسي هذا المؤلف عن عن الصوفي أبي القاسم الكنباشْي التلمساني[21]، ومن هنا اعتبر السنوسي التوحيد، أحد الطرق الموصلة إلى إدراك الحقائق الإلهية[22]، من خلال المعرفة العقلية لأسماء الله الحسنى والتي تعد أساس المعرفة الذوقية التي تتحقق بواسطة الذكر، ولذلك انصب اهتمامه في تأليف عدد من العقائد مثل عقيدته الكبرى المسماة بعقيدة أهل التوحيد التي شرحها تحت اسم «عمدة أهل التوفيق والتسديد في شرح عقيدة أهل التوحيد»، وكذا عقيدته الوسطى وهي دون الكبرى[23]، لكن أهم هذه العقائد كلها، عقيدته الصغرى التي وضعها في شرح موسوم بـ «أم البراهين»، وفيها بسط من شرح كلمة «لا الله إلا الله محمد رسول الله» وبين فوائدها التي تحصل لذاكرها في قوله: «إعلم أن المواظبة على ذكر هذه الكلمة المشرفة... تحصل فوائد كثيرة منها، ما يرجع إلى محاسن الأخلاق الدينية ومنها ما يرجع إلى الكرامات والخوارق»[24]، أضف إلى ذلك اعتناءَهُ بـ «شرح أسماء الله الحسني» في كتيب[25] أظهر فيه منحاه في طريق القوم، وفيه يأتي بتفسير كل اسم من أسماء الله الحسنى ويبين حظوظ العبد من هذه الأسماء لتحقيق غايتين أساسيتين هما التَعلقُ والتَخلقُ[26].

وزاد في تأثره بإرشاد أبي المعالي انتفاعه من الشروحات الثلاثة التي.أنجزها ابراهيم بن يوسف بن محمد بن دهاق المعروف بابن المرأة تـ 610هـ/1214م[27]، والتي قام السنوسي بدوره بتلخيصها وتأثر بها في كتاباته، خصوصا في فكرة المعرفة الرسمية المفضية إلى الإخلاص في سائر

الأعمال الربوبية وإنارة العقل بعلم أصول الدين والعلم بأحكام الشريعة وكذلك في القضايا المتعلقة بالشروط الواجب توفرها في الولي والأحوال التي تطرأ عليه والمقامات التي يعبرها متدرجا نحو مرتبة الجمع والفرق، ونقلها إلى طلبته بتلمسان، والتي ترتكز على أربعة محاور هي:

أولا: العلم بأصول الدين كي يفرق بين الخلق والخالق وبين النبي ومدعي النبوة.

ثانيا: العلم بأحكام الشريعة نقلا وفهما، أي أن يكون له علم بدين الله وقواعده وأصوله وفروعه.

ثالثا: أن يتخلق بالخلق المحمود الذي يدل عليه العقل والشرع، فأما ما يدل عليه الشرع فالخوف من المحرمات وامتثالُ جميع المأمورات، وأما ما يدل عليه العقل فهو ما يثيره العلم بأصول الدين من ترك الاختيار وإسقاط التدبير والزهد في المواهب والعطايا الإلهية و«أن إذا علم حدوث العالم بأسره لم يتعلق قلبه بشيء منه خوفًا ولا طمعًا لعلمه أنه في قبضة الله تعالى... وإذا علم أن القدر تسابق بما كائن لم يخف فوت شيءٍ مما قدر عليه ولم يبرح نيل شيء مما لم يقدر عليه»[28].

وهذا المُعبر عنهُ بمقام الرضي، أما عِلمهُ بالوحدانية فيقوده إلى الإخلاص في سائر الأعمال في حين لا تحتمل الربوبية الشركة في شيء.

رابعا: أن يلازمه الخوف ولا يجد الطمأنينة إلى نفسه سبيلا، حتى لا يعود إلى المخالفات ويجتنبها وهذا المعبر عنه بمقام الورع، أي أنه يخاف أن يزول ما حصل له من موافقة بأضدادها، فيخاف أن يتبدل علمه وفهمه إلى الشك والجهل ويخاف أن تخدعه نفسه فيحصل في عِلمِه ما يفسده ويحيطه من الرياء والسمعة[29].

ومن هنا يظهر شرح ابن دهاق على ارشاد أبي المعالي، وقد قنن التصوف العرفاني السني في الأحوال والمقامات لدى السنوسي وأضحى مرجعًا مُؤثرًا في منحاه العرفاني. ناهيك على أخذه فكرة عدم استهداف الكرامة والمواهب الإلهية، وأطروحة الزهد في المواهب والعطايا الإلهية من كتاب «محاسن المجالس» لأبي العباس أحمد بن العريف الصنهاجي تـ 536هـ/1142م[30].

ولا نعدم مختلف نصوص التاريخ والتراجم والمناقب التي تظهر تأثره بأفكار العرفان السني التي كانت رائجة بمدينة تلمسان، خصوصا بعد ذمور التصوف العرفاني الفلسفي بها منذ أوائل القرن 08هـ/ 14م، ويبدوا أن أكثر الأطاريح العرفانية السنية تأثيرا في السنوسي، أطروحة أبي عبد الله محمد المقري تـ759هـ صاحب كتاب «الحقائق والرقائق»[31]، ناهيك على تأثره

بصوفية عصره الذين نهل من تجاربهم في التوحيد العرفاني، وأخذ عنهم طقوسهم، ومن أبرزهم الولي العارف الحسن بن مخلوف أبركان، وشيخ الطريقة التازية بوهران ابراهيم التازي تـ 866هـ/1461م الذي ألبسه الخرقة وبصق في فمه[32].

2- مرتكزات التصوف العرفاني السني عند السنوسي: إن اختيار السنوسي لعلم التوحيد كبوتقة لتصوفه العرفاني نابع من قناعاته، بأن هذا العلم من أفضل العلوم الظاهرة التي تُورث المعرفة بالله والخشية منه والمراقبة وبه أيضا يفتح الله للعبد لفهم سائر العلوم على قدر معرفته به فيزداد بذلك خوفه وقربه من الله[33]، كما أنه منجي القلب مما ارتبك فيه وحل غياهب الشكوك والأوهام والمنقذ له من التلف في غمة الجهل، وما تراكم من ظلمات[34]، لكن كيف جعل السنوسي من التوحيد العرفاني سبيلا إلى الوصول والكشف؟

لقد وضع السنوسي خمسة مرتكزات قام عليها تصوفه التوحيدي العرفاني وهي:

أ- اكتساب المعرفة الرسمية: وفيها يتم معرفة أسماء الله الحسنى بأوصافه الجلالية والجمالية وأبعاد معانيها بواسطة العقل أو ما أسماه بالبراهين العقلية-الدليل العقلي-[35]، وفيها يعلم الموحد أن الألوهية استغناء الإله عن كل ما سواه وافتقار كل ما سواه إليه[36] وأنه هو محدث العالم بأسره وهو أن لا تأثير لشيء من الكائنات في أثر ما، وأن لا يستغني ذلك الأثر عن الله عزوجل[37].

وهذه المعرفة الرسمية لكلمة لا إله إلا الله محمد رسول الله (ص)، يحصل من ورائها العلم بعقائد الإيمان تفصيلاً وإجمالاً فضلاً على ما تنطوي عليه من المحاسن يتشعشع عند ذكرها القلب بأنواع اليقين وتتموج فيه أضواء الإيمان حتى تنبسط على الظاهر فيتفتق لصاحبها كنوز هذه الكلمة فيعلم بذلك، قدر مَا مُنِحَ له من النعمة العظمى التي مَنَّ بها الله عليه وهي أول خُطوة نحو كشف حجاب الحس[38].

ب- اكتساب المعرفة الذوقية: وتتم بواسطة الذكر لأسماء الله الحسنى بصيغة لا إله إلا الله محمد رسول الله[39]، وفيها يرى السنوسي أنّ تحقيق المعرفة الذوقية لا يتأتى إلا بالمعرفة الرسمية التي أنجبتها البراهين العقلية بواسطة الذكر، أي لا يكون الذكر مجرد النطق باللسان، بل استحضار القلب لمعاني أسماء الله الحسنى التي اكتسبها في مرحلة المعرفة الرسمية، فالذكر يُردد بلسانه وفي نفس الوقت يحضر بقلبه اسم الله أو غيره من الأسماء الحسنى إلى أن يكف ومعها اللسان عن الحركة ويستمر ذلك على مستوى القلب ويواظب عليه إلى غاية فناء صورة الكلمة وبقاء معناها

مجرداً حاضراً فيه وكأنه ملتصق به وحينها لا يمكن الفصل بين الذكر والفكر فيصبح طريق الذكر هو نفسه طريق الفكر[40]، وخلالها يحصل للذاكر فوائد كثيرة منها ما يرجع إلى محاسن الأخلاق الدينية ومنها ما يتعلق بالكرامات التي هي الخوارق، فأما الأول فيتمثل في الاتصاف بالزهد والتوكل والحياء والغنى والفقر والإيثار والفتوة والشكر[41]، أما الثانية والمتعلقة بالكرامات فسنأتي على تفصيلها ضمن أسس وجدلية الكشف والزهد
في المواهب والعطايا الإلهية.

ج- المجاهدات والذكر: لجأ السنوسي إلى اعتماد طريق المجاهدة بمعاني أسماء الله الحسنى بواسطة الذكر[42]، لتصفية الباطن حيث يحقق الذكر بالأسماء الحسنى غايتين أساسيتين هما: التعلق وهو التوجه إلى الله بمقتضى معاني الأسماء الحسنى والتخلق وهو التزام الاتصاف بمعاني الأسماء الحسنى فيحصل للذاكر منها حظوظٌ، فمن ذكر اسم الله يحصل له امتحاء ما عدا ذاته تعالى وصفاته وأفعاله من قلبه ومن الرحمن عدم الأخذ من النعم الدنيوية إلاّ ما يوصل. إلاّ أن وصل النعم الأخروية المتعلقة باسم الرحيم كالإيمان والأعمال الصالحات وما يعين عليها من ضروري المعاش والزهد في ما سوى ذلك زهداً كلياً والاتسام بالرحمة والاكتفاء برحمته الواسعة التي إليها الاستناد يوم يقوم الأشهاد ولزوم الشكر لله ورؤية المنة له تعالى وحده في كل ما يبدو من النعم بالتخصص والتعميم[43].

ويأخذ من اسم (الملك) لزوم الخدمة والذلة والتعظيم والمخافة والرجاء والحياء ومن (القدوس) البعد عن كل نقيصة ومن (المؤمن) الإذعان والتزام التصديق بكل ما صدقه المولى والعمل وفق ذلك إلى الممات ومن (المهيمن) الإذعان لحكمه تعالى والمراقبة لله تعالى في حركاته وسكناته ظاهره وباطنه ومن (العزيز) التعزز بعز مولاه حتى يقهر بذلك نفسه وشيطانه وهواه ومن (الجبار) التزام الرياضة وقهر النفس عليها[44]، ولذلك كان السنوسي من أهل المجاهدات كثير الخلوة يقوم الليل ويطيل في الركوع والسجود حتى تنتفخ قدماه، وكان يسمع له أنين عظيم في صدره من شدة خوفه من الله، فضلا على التزامه سنة داود عليه السلام، في الصيام أي يوم بيوم[45].

أما حظه من (المتكبر) فهو قهر النفس وتطهيرها من صفات العظمة والكبرياء، ومن (العلي) الحياء من مولاه أن يرى دنيويا أو أخرويا سوى كماله جل وعلا ومن (الكبير) الانسلاخ

عن الكبر والتعاظم ولزوم لباس الذل والتواضع ومن (المتعال) شكر مولاه الذي تفضل بإظهار علو: حتى حرر بذلك القلب مما كساه من محاسن الكائنات ومن (الخالق) إسقاط تدبيره ومشيئته لعدم انقياد الكائنات لهما والتعلق بتدبير المولى ومشيئته النافذة ومن (الباري) عدم الوقوف مع الصور وكمالها الناقص فهو غني عنها بكمال حالها ومصورها فلا يسبي لذلك قلبه العارف بجمال مولاه وجلاله ومن (الغفار) ستر الذنوب والمعايب الصادرة منه بالتوبة المقتضية تبديل تلك المساوئ وتغطيتها بأضدادها وستر زلات العصاة بالنصح لهم حتى يتركوها والتضرع للمولى أن يغفر لهم[46]، ومن (السميع البصير) صون للظاهر والباطن عن كل ما يستحي أن ينكشف للمولى.

ومن (القابض) قبض قلبه وجوارحه عن كل ما أمره الله بالانقباض عنه ورؤية المنة لله في التوفيق لذلك ومن الباسط بسط قلبه وجوارحه حيث أمره الله بالبسط، وشكره تعالى فيما بسط ذلك بفضله وتكون غاية هذه المجاهدات بمقتضى التعلق والتخلق الوصول إلى حال الفناء[47].

رابعاً: التوفيق بين الشريعة والحقيقة: لقد صرح السنوسي في (نصرة الفقير) على أن الشريعة من غير حقيقة زندقة والحقيقة من غير شريعة زندقة أيضاً، ومن هذه العلاقة حصّن تصوفه في التوحيد العرفاني بالشريعة ووضع لتحقيق ذلك ثلاث آليات هي: اتّباع السنة والإقتداء بالصحابة والعلم بالله وتأصيل الذكر وطقوسه من القرآن والسنة وسيرة صحابته.

فقد اشترط على المريد الصادق قبل أن يدخل في طريق الذكر أن يتبع سنة الرسول (ص) ويقتدي بأصحابه ويشهد المنة ويجتنب البدعة المحرمة والعيث والآثام، ثم يدخل في طريق الذكر بعد معرفته بمن يذكره ومعرفة أوصافه الجلالية الجمالية[48]، ومن ثمة اعتبر العلم بالله المكنون في صدور العلماء نورًا وحكمة وفي غير صدورهم تزويقًا وتشديقًا[49].

ويظهر السنوسي مدافعًا عن المشروعية الدينية للتصوف وخاصةً الذكر وطقوسه، فاعتبره شرعيًا بنص القرآن مستدلا بقوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾[50]، ومن السيرة بحادثة تلقين النبي (ص) لعلي كرم الله وجهه الذكر في غزوة الخندق ثلاث مرات[51] فضلا على إقراره بصلاحية الاجتماع للذكر عقب كل صلاة وأثر ذلك في تثبيت الإيمان وجواز ما يرافقه من تداول على الذكر والإقرار والمصافحة والتسبيح، فهو وإن كان مستحدثا لم تجربه عادة السلف إلا أن العلماء استحسنوه واعتبروه بدعة مندوبة كسائر

نوافل الخيرات المستحسنة مثل حزب الإرادة وقراءة الفاتحة في كل شيء وزيارة الإخوان والاحتفاء بتوبتهم والإطعام على ذلك[52]، وأكد ما ينجر من ثواب على ذلك لقوله: «وهذه الأذكار والاجتماعات التي يتعاهدها الصوفية... يثابون عليها لأنهم يتزاورون في الله ويجتمعون في ذات الله ويتواصلون على طاعة الله ويلعبون بذكر الله ويرقصون ويصيحون من حب الله، إياك ثم إياك ولحوم هذه الطائفة»[53].

وحتى يربط مسألة الكشف بالشريعة اعتبر المكاشفة الحقيقية هي أن يكاشف عن الله ورسوله بفهم كلامهما وما تضمنه من الأسرار العقلية والأنوار التوحيدية مع علوم غامضة وإفهام دقيقة وهي المرتبة التي لا يعطيها الله إلا لخاصة أوليائه.

ويظهر هذا المنحى التوحيدي العرفاني الملتزم بالرسول(ص) قدوة والتوفيق بين الحقيقة والشريعة منهجا في شرح السنوسي لأدبيات عرفانية لأحد العرفانيين ومطلعها[54] (الطويل):

تَطَهر بماء الغَيب إن كُنت ذا سِـــرِ وإلا تيمم بالصعيـــد وبالصخـــر

وقَدم إمامًا إن كنت أنـــت إمامـــهُ وصَلِ صَلاةَ الفَجر في أول العَصر

فَهذه صَـــلاة العَارفين برِهـــــــم فَإن كُنت منهم فانضح البَر بالبَحر

ومن خلالها يرى السنوسي أن التطهر بماء الغيب القصد منه التطهر من الجنابة المعنوية المنسوبة للغفلة، ورفع حدثها وأثرها من الذكر والفكر ويكون دليل طهرها اكتساب المعارف الربانية والعلوم الدينية وهي طهارة العارفين فالتطهر من الغفلة شرط للدخول في حضرة الله سبحانه، وهذه الطهارة تختلف عن التطهر من الجنابة باستعمال الماء الطهور الذي يرفع الحدث وينظف البدن، والتيمم بالتراب والصخر الذي تستباح به العبادة ولا يرفع حدثا وطهارة المريد المتمثلة في الزهد والمجاهدة النفسية والإدمان على الذكر اللساني وهي دون درجة أهل المعرفة[55]، لكن في هذه الطهارة ما يجعل النفس تتأسى بالغفلة مثل انتظار المريد صفاء سره بالعبادة وميل نفس المحدث الفاقد للماء كذلك إلى الراحة والبطالة فيعسر محافظتها على الصلاة، أما العارف إذا تطهر لصفاء سره بمياه المعارف الربانية، ولم يصل إلى رتبة الفناء والبقاء فإنه ينبغي عليه أن لا يتخلى عن الأعمال المتعلقة بالظاهر. حيث أن مبدأ سلوكه شبيهٌ بوقت صلاة الفجر الذي يمثل أول الانتباه من نوم الغفلات ويكون قريبًا من ظلمة الليل وهما المرحلة التي لم يتخلص فيها العارف من الدنيا وزينتها، فالأعمال التي يبدأ بها العارف قريبة من ظلمات النفس، بينما تكون

أول مقامات العارف شبيهة بوقت صلاة العصر، لأنه آخر النهار ومحل حَطَ الرحال، وإذا كان كل المبتدى عن الطريق والعارف مطالب بها -الأعمال الظاهرة- فإن الفرق بينهما أن المبتدى يعملها في أوائل الانتباه حينما يكون قريبًا من الظلمات ولا تصفو له كُلَ الصفاء بينما العَارفُ يَعملها في آخر النهار وبعد كمال الانتباه ومشاهدة امتلاءُ الآفاق بضوء الشمس ولهذا قال: مُخاطبا العارف «وصلّ صلاة الفجر في أول العصرِ» أي أنه وقت صلاة العارفين لأن غيرهم يعمل تلك الأعمال قبل أن يشاهد أوائل طلوع شمس المعارف فضلا عن انتمائها. وأما قوله: «وقدم إماما كنت إمامه» فوصية هامةٌ معناها أن العارف عليه أن يقدم في أقواله وأعماله الرسول (ص) قدوة له لأن البعض قد يغتر بما يظهر له من مواهب فيترك الاقتداء بالرسول (ص) [56] «وكنت إمامه» أي أنه حَكَّم العقل أولاً ونظر واهتدى بالبرهان إلى صدق الرسول(ص) وعرف مرتبته عند الله واحتشم في تقديمه أولا وتقهقر إلى الوراء وعزل نفسه عن كل نظر وأسلم نفسه إلى الرسول(ص) وقدمه إمامه وحكمه وظاهره وباطنه وقوله «فإن كنت منهم فانضح البر بالبحر» يعني إن كنت من العارفين فلا تترك الجمع بين الحقيقة والشريعة فالشريعة بر والحقيقة بحر، ولا شك أن ظاهر الشريعة لم يوجد فيها من الإسناد للأعمال والسببية لها شركٌ فإذا نضح ظاهرها بماء الحقائق التوحيدية كملت محاسنها وانقسم للعارف أعمالها[57].

ويظهر السنوسي كذلك أكثر حذرا في ابتعاده عن الغيبة عند الكشف، لذلك جنح إلى الكشف المصحوب بالصحو، وبالتالي فرغم أن الذوق في نظريته الصوفية العرفانية أعلى درجة من العقل[58] إلا أنه يصر على ضرورة العودة إلى العقل فيما يكشف مما يؤكد بعد المسافة بين السنوسية و فكرتي الحلول و الاتحاد الناجمتين عن حالة الغية والسكر، ومبدأ التوافق بين المدركين القلب والعقل[59].

د- جدلية الكشف والزهد في المواهب والعطايا الإلهية: إن غاية الذكر بأسماء الله الحسنى عند السنوسي هي الوصول إلى حالة الفناء والتي لا يرى فيها الموحد العارف وجود غير ذاته وصفاته وأعماله أي الفناء عن رؤية غنى غير غناه وكبر غير كبره وعلم غير علمه وعز غير عزه وحكم غير حكمه[60]، وحينما يزيد في المجاهدة ليحصل على التأييد الإلهي لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾[61]، وقوله تعالى أيضا ﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾[62].

وهذه الروح عند العارفين هي عين السر ومرآة تجليات وكشوف لأمور وعلوم لم تجر العادة لخلقها، ولا يعرفها إلا أهلها ولا سبيل إلى تعريفها بالقول للغير، بل بإشارة العارفين[63]، ومن هنا يقر السنوسي من أن الكشف لا يتم بواسطة الاستدلال ولا بطرق الاعتبار، بل بمحض إنعام وإلهام من الله ويبدو أن السنوسي كان حذرا إزاء مسألة الكشف فقد رفض أن يستهدف العارف الكرامات بقوله: «إن المؤمن لا ينبغي له أن يقصدها بشيء من طاعته وإلا دخل عليه الشرك الخفي ومكربه»[64].

وكذلك حذر من لحظة الوصول التي يستعجل فيها الموحد حصول المواهب والعطايا الإلهية أو تحدثه نفسه بها أو يدعي رؤية عاجلة أو علما بالله حتى لا تتحول تلك المجاهدات إلى أحلام شيطانية يتوهمها كرامات وعطايا إلهية، ولذلك اعتبر السنوسي أن المكاشفة الحقيقية هي أن يكاشف عن الله ورسوله -صلى الله عليه وسلم- ويفهم كلامهما وما تضمنه من الأسرار العقلية والأنوار التوحيدية مع علوم غامضة وإفهام دقيقة وهي مرتبة لا يعطيها الله إلا لخاصة أوليائه[65]؛ أي أن صحة الكشف الحقيقي يكون وفق ما يشهد به العلم الرسمي -المعرفة الرسمية لأسماء الله الحسنى-، ولم يتوقف تحذير السنوسي عند عدم استهداف الكرامة ورفض استعجال حدوثها، بل اعتبر الزهد فيها كليا هو معيار الولي الحقيقي في قوله «إن الولي الحقيقي هو الذي لو كُشف له عن الجنان وما فيها من الحور والولدان وغير ذلك ما التفت إلى شيء من ذلك ولا مال إليه بالكلية، ومهما سكن إلى شيء من ذلك وركن إليه فقد ركن لغير الله»[66].

إلا أن ما ميز السنوسي كونه لم يهمل العقل في تجربة التوحيد العرفاني، فبه تتم المعرفة الرسمية وبه تضبط حالة الكشف وهذا ما عناه سعيد عليوان حينما اعتبر العقل عند السنوسي أعلى من الذوق ووصفه بالمحك بينما حَصر مهمة الذوق في التعاطف والتفاعل والهيام في جناب الله عزوجل اقتناعا بوجوده عقليا[67]، ثم إن انتشار المقال العقدي للسنوسي والمشحون بالتصوف بشكل واسع خاصة عقيدته الصغرى وشروحها قد ساهم في انتشار المضامين الصوفية للتوحيد العرفاني، وليس أدل على ذلك من عدد تلامذة السنوسي الذين أخذوا عنه بتلمسان تصوفه في التوحيد العرفاني وقاموا بنشره في بني راشد وغريس وهم محمد بن يحيى المغراوي وعمر العطافي[68]، ناهيك على آخرين بتلمسان مثل أبي القاسم الكنباشي التلمساني[69]، وأبي محمد القلعي[70]، وابن صعد التلمساني وأبي الطاهر الزواوي ومحمد بن أبي مدين -كان حيا سنة

920هـ/1514م-[71]، وأبي العباس الصغير ويحيى بن محمد وابن الحاج البيدري وإبراهيم الوجديجي وبن ملوكه [72]، لتشمل تجليات فكر السنوسي في التوحيد العرفاني مرحلة ما بعد العصر الوسيط، وهو فصل آخر من بقايا العرفان السني يستحق البحث والتنقيب.

هوامش البحث:

(*) محمد بن عمر الملالي: المواهب القدسية في المناقب السنوسية، مخطوط دار الكتب التونسية، رقم 15354، ورقة 12، 19.

(2) اعتبر محمد بن يوسف السنوسي العارف السني، هو من استشعر الحقيقة الإلهية بمعرفة التوحيد والعبودية والربوبية، فيدرك معنى الربوبية ويقر بالوحدانية وينفى الأنداد عن الله سبحانه وهي الخطوة التي تحصنه في مراحل المقامات التي يقطعها وصولاً إلى مقام الجمع، حيث يتوهم الوحدة التي تكون فيها في اتصال دائم مع الحق لكن وصوله إلى مقام الفرق بما اكتسبه من استشعار للحقيقة الإلهية وتعرفه بالتوحيد والعبودية والربوبية، يجعله لا ينغمس في الوحدة أو الغية أو السكر وهي حالة جمع الفرق التي تتجلى فيها صور السكر مع الصحو والفناء مع البقاء ؛ الملالي: المواهب القدسية، ورقة 179.

(3) الملالي: المواهب القدسية، ورقة 38.

(4) نفسه، ورقة 104.

(5) نصرة الفقير في الرد على أبي الحسن الصغير، مخطوط ضمن مجموع الخزانة العامة للوثائق والمخطوطات، رقم 1845/د، ورقة 113، 114 ؛ أثارت كنية أبي الحسن الصغير إشكالاً لدى الباحثين، فأبو الحسن الصغير الذي عاصره محمد بن يوسف السنوسي وأحمد زروق هو أبو عبد الله محمد بن الحسين بن محمد بن حمامة الأوربي اليحي الصغير وهو شيخ ابن غازي، وقد كانت وفاته سنة 887هـ/1482م . أحمد بابا التنبكتي: نيل الابتهاج بتطريز الديباج، ج2، تحقيق علي عمر، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2004، ص ص 240، 241 ؛ أما المعروف بأبي الحسن علي بن عبد الحق الصغير فهو علي الزرويلي صاحب التقييد على المدونة والقاضي المدرس بفاس والمتوفي سنة 719هـ/1319م . أبو العباس أحمد بن القنفذ: شرف الطالب في أسنى المطالب، تحقيق محمد حجي، مطبوعات دار المغرب للتأليف، الرباط، 1976، ص ص 102، 103.

(6) الملالي: المواهب القدسية، ورقة 190.

(7) نفسه، ورقة 143 ؛ الوادآشي البلوي أبو جعفر أحمد بن على تـ 938هـ/1532م: ثبتُ البلوى، تحقيق عبد الله العمراني، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983، ص 443 ؛ التنبكتي: نيل الابتهاج، ج2، ص 26 ؛ أبو عبد الله محمد ابن مريم: البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، نشر محمد بن أبي الشنب، تقديم، عبد الرحمان طالب، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1986، ص 246.

(8) نصرة الفقير في الرد على أبي الحسن الصغير، ورقة 115.

(9) يقول ابن عطاء الله «أعبد الله برضا فإن لم تستطع ففي الصبر على ما تكره خيرٌ كثيرٌ» . ابن عطاء الله السكندري تاج الدين أبي الفضل أحمد بن محمد: التنوير في إسقاط التدبير، ط2، دار الكتب العلمية، لبنان، 2006، ص 5.

(10) ابن عطاء الله السكندري: الحكم العطائية الكبرى، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003هـ/1424م، ص101.

(11) يُوافق فكرة الزهد عند ابن عطاء الله: «كما لا يجب العمل المشترك كذلك لا يجب القلب المشترك، العمل المشترك لا يقبله، والقلب المشترك لا يُقبلُ عليه» . الحكم العطائية، ص 109.

(12) يرى بن عطاء الله أن الله: «بسَطَكَ كي لا يُقيكَ مع القبض، ويَقبضكَ كي لا يتركَكَ مع البسط، وأخرجكَ عنهما حتى لا تَكون لشيء دُونه» . الحكم العطائية، ص 101.

(13) يطابق ذلك قول ابن عطاء الله: «فأرباب الجذب –الوجد– يكشف لهم عن كمال ذاته، ثم يردهم إلى شهود صفاته، ثم يرجعهم إلى التعمق بأسمائه، ثم يردهم إلى شهود آثاره» . الحكم العطائية، ص 113.

(14) يوصي بن عطاء الله بعدم ترك الذكر لأهميته في الوصول إلى مرتبة الغيبة في قوله: «لا تترك الذكر لعدم حضورك مع الله فيه ... فعسى أن يرفعك من ذكر مع وجود غفلة إلى ذكر مع وجود يقظة، ومن ذكر مع وجود يقظة، إلى ذكر مع وجود حضور، ومن ذكر مع وجود حضور إلى ذكر مع وجود غيبة عما سوى المذكور ...» . الحكم العطائية، ص 99.

(15) الدرة المفردة في شرح العقيدة المرشدة، مخطوط الخزانة العامة للمخطوطات والوثائق، الرباط، رقم 2691، ورقة 305.

(16) حول النص الكامل لمرشدة ابن تومرت. أنظر سعد غراب: مرشدة ابن تومرت وأثرها في التفكير المغربي، مجلة الكراسات التونسية، العدد 13، 104، السنة 1978، ص 119.

(17) نفسه، ص 134.

(18) عبد الرحمان بن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر، ج6، دار الكتاب اللبناني، 1983، ص ص 471، 472.

(19) أبو العباس أحمد الونشريسي: المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي علماء افريقية والأندلس، ج11، تحقيق محمد حجي وآخرون، مطبوعات دار الغرب الإسلامي، 1981، ص 50.

(20) أبو الفضل محمد بن صعد: روضة النسرين في التعريف بالأشياخ الأربعة المتأخرين، مراجعة وتحقيق يحي بوعزيز، ط1، منشورات A.N.E.P، الجزائر، 2002، ص 95.

(21) الملالي: المصدر السابق، ص 19؛ أحمد بابا التنبكتي: اللآلئ السندسية في الفضائل السنوسية، مخطوط الخزانة العامة للمخطوطات والوثائق، الرباط، رقم 471/د، ورقة 92.

(22) الملالي: المصدر السابق، ورقة 143 ؛ يرى جمال الدين بوقلي أن محمد بن يوسف السنوسي لم يجد في علم التوحيد في صورته الكلامية سوى الخطوة الأولى للتقرب بها إلى الله، وما الانقطاع للذكر والمكاشفة إلا الوجه الثاني المكمل لكلمة التوحيد، فهو الحبل الذي يصل العقل بالقلب. الإمام ابن يوسف السنوسي وعلم التوحيد، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص 355.

(23) الملالي: المصدر السابق، ص 122.

(24) تحقيق محمد الغمارى، ط1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1989، ص93؛ يذكر سعيد عليوان أن منحى الشرح الذي اعتمده السنوسي، هدفه التبسيط حتى يُسهل على قرائها الاستيعاب. محمد بن يوسف السنوسي وشرحه لمختصره في المنطق، دكتوراه الحلقة الثالثة، جامعة الجزائر، 1986–1987، ص 48.

(25) يذكر الملالي أنه رأى هذا الشرح في عشرين ورقة. المصدر السابق، ص123؛ أما التنبكتي فيقول بأنه في كراريس. أحمد بابا التنبكتي: كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج، تحقيق أبو يحي عبد الله الكندري، ط1، دار بن حزم للطباعة والنشر ، لبنان، 1422هـ/2002م، ص451.

(26) محمد بن يوسف السنوسي: شرح أسماء الله الحسنى، مخطوط الخزانة العامة للمخطوطات والوثائق، الرباط، رقم 2406/د، ورقة 162 وما بعدها.

(27) الملالي: المواهب القدسية، ورقة 38.

(28) نفسه، ورقة 38.

(29) نفسه، ورقة 38.

(30) بعث ابن العريف رسالة إلى تلميذه أبي الحسن بن غالب، يجسد فيها أطروحته في الزهد في المواهب والعطايا الإلهية والكرامات بقوله: «لا تكذب بها ولا تعمل عليها، فإن العمل على الكتاب والسنة هو الهداية». عبد الله محمد بن عباد الرندي: الرسائل الصغرى، تحقيق بولس نويا (من الملحق رقم خمسة الرسالة الرابعة)، دار الشروق، بيروت، 1974، ص 220.

(31) حول أطروحة محمد المقري في العرفان السني ؛ أنظر: الطاهر بونابي: الحركة الصوفية في المغرب الأوسط خلال القرنين 8 و 9 الهجريين/ 14 و 15 الميلاديين، القسم الأول، أطروحة دكتوراه في التاريخ الإسلامي الوسيط، جامعة الجزائر، قسم التاريخ، 2008-2009، ص 442 وما بعدها.

(32) الملالي: المصدر السابق، ورقة 197.

(33) نفسه، ص 52؛ التبكتي: اللآلئ السندسية، ورقة120؛ المراقبة هي استدامة علم العبد باطلاع الرب عليه في جميع أحواله. أنور فؤاد: معجم المصطلحات الصوفية، ص 160؛ أما الخوف فهو الحالة التي لا يخاف فيها العبد غير الله أي لا يخاف في نفسه وإنما يخافه إجلالا له، لأنه الخوف على نفسه هو خوف العقوبة. عبد القاهر السهروردي: عوارف المعارف، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1986، ص 315؛ القرب هو قرب العبد من الله بكل ما يعطيه من السعادة وهو على قسمين: قرب علمي وأعلاه العلم بتوحيد الألوهية، وقرب عملي وينقسم إلى: قرب فرضي لقول الرسول (ص): «ما يقرب المقربون بأحب إليَّ من أداء ما فرضته عليهم» وفيه يتجلى الحق للعبد ويظهر العبد بحسب الحق غير محدود ولا متناه، وقُربٌ فعلي لقول النبي (ص): «لا يزال العبد يقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته، كنت له سمعاً وبصراً»، وفيه يتجلى الحق للعبد ملتبساً القابلية المحدودة. عبد الرزاق الكاشاني: رشح الزلال في شرح الألفاظ المتداولة بين أرباب الأذواق والأحوال، تحقيق سعيد عبد الفتاح، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، 1415هـ/1995م، ص ص 85- 87.

(34) محمد بن يوسف السنوسي: شرح كفاية المريد، مخطوط المكتبة الوطنية، الجزائر، رقم 2075، ورقة 6؛ يرى الملالي أن علم التوحيد يزيل من القلب داء الشبه وضروب الشكوك والامتراء. المصدر السابق، ص 41.

(35) محمد بن يوسف السنوسي: شرح أم البراهين، ط1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ص 74؛ وكذلك نصرة الفقير، ص 120.

(36) الاستغناء وجوب له تعالى، الوجود والقدم والبقاء والمخالفات للحوادث والقيام بنفسه والتنزه عن النقائص، وما يندرج عن عقائد الإيمان كوجوب السمع له تعالى والبصر والكلام، والدليل على إثباتها كون أضدادها نقائصًا، كما أنه تعالى منزه عن الأغراض في أفعاله وأحكامه، فلا يجب عليه فعل شيء من الممكنات لا تركه، إذ لو جب عليه تعالى شيء منها غفلا كالثوب مثلا لكان عز وجل مفتقراً إلى ذلك الشيء ليكتمل به، إذ لا يجب في حقه تعالى وأحكامه كلها لا علة لها باعثة وإنما هي بمحض الاختيار وما رعى الله من مصالح الخلق فبمحض فضله ولا حق لأحد عليه تعالى أما وجوب الافتقار إليه تعالى فيستلزم قدرته تعالى على إيجاد الشيء المفتقر فيه إليه، وذلك يستلزم وجوب اتصافه تعالى بالقدرة والإدارة والعلم العامة لجميع متعلقاتها لما عرف من وجوب توقف تأثير القدرة على الإرادة والعلم ويستلزم أيضاً وجوب اتصافه تعالى بالحياة لوجوب توقف تلك الصفات على صفة الحياة. شرح أم البراهين، ص ص 74، 75.

(37) يرى السنوسي أنه لو كان هناك شيء أقدم من الله تعالى لكان ذلك الشيء مستغنيا عنه الله تعالى.ولا يوجد في الكائنات يؤثر بطبعه خاصة وأن الله لم يجعل من قدرته في هذا الشيء لأنه لو كان كذلك لصار عز وجل مفتقرا في إيجاد بعض الأفعال إلى

واسطة، وبهذا يبطل مذهب القدرية القائلين بتأثير القدرة الحادثة في الأفعال مباشرة أو تَوَلدًا ويبطل مذهب الفلاسفة القائلين بتأثير الأفلاك والعلل ويبطل مذهب الطبائعيين القائلين بتأثير الطبائع والأمزجة ونحوها. شرح أم البراهين، ص76.

(38) محمد بن يوسف السنوسي: شرح أم البراهين، ص65.

(39) يرى السنوسي أن الذكر لا يكون بالشهادة الأولى–لا إله إلا الله– فقط، بل يجب إضافة الثانية–محمد رسول الله– لأن الأولى تمحق كل شك في الربوبية والثانية تلغي كل شك في الرسالة وكما أن العقيدة لا تصح إلا بالشهادتين معاً، فإن الفتح لا يأتي دونهما معا ولأجل ذلك اعتبر السنوسي أن الاقتصار على ذكر الشهادة الأولى وإهمال الثانية استدراجًا إلى فرض الشريعة والانحلال من ربقتها وتعطيل رسومها. شرح أم البراهين، ص 90.

(40) نفسه، ص ص 87- 90.

(41) حدد السنوسي معاني هذه المحاسن الأخلاقية فاعتبر الزهد خلو الباطن من الميل إلى فَانٍ وفراغ القلب من النقة برائل، والتوكل بثقة القلب بالوكيل وهي حالة يسكن فيها العبد عن الاضطراب عند تعذّر الأسباب ثقةً بمسبب الأسباب والحياءُ تعظيم الله بدوام ذكره وإكبارًا وسكوت اللسان عنها بالكلية مدحاً وذماً والإيثار على نفسه بما لا ينمه الشرع والفتوة وهي التجافي عن مطالبة الخلق بالإحسان إليه ولو أحسن إليهم لعلمه بأن إحسانه إليهم وإساءتهم إليه كل ذلك مخلوق له وتعالى والشكر وهو إفراد القلب بالثناء على الله ورؤية النعم في طي النِّقَمِ. شرح أم البراهين، ص ص 93، 94.

(42) يذكر الملالي أن شيخه السنوسي كان إذا صلى الصبح يأخذ في الذكر حتى طلوع الشمس وربما جعل رأسه بين ركبتيه فيغيب عن الخلق، حتى أنه كان لا يشعر بمن حوله. شرح أم البراهين، ص 134.

(43) السنوسي: شرح أسماء الله الحسنى، ورقة 134.

(44) نفسه، ص ص 163، 164.

(45) الملالي: المصدر السابق، ص183 ؛ التبكتي: نيل الابتهاج، ص 256؛ ابن مريم: المصدر السابق، ص 243.

(46) السنوسي: شرح أسماء الله الحسنى، ص ص 164، 165.

(47) السنوسي: شرح أسماء الله الحسنى، ص ص 165، 166.

(48) نصرة الفقير، ص 120.

(49) نفسه، ص 113.

(50) سورة الزخرف: الآية 36.

(51) نصرة الفقير، ص115، 116.

(52) نصرة الفقير، ص 116.

(53) نفسه، ص 117.

(54) الملالي: المصدر السابق، ص179.

(55) نفسه، ص 189.

(56) الملالي: المصدر السابق، ص 180.

(57) نفسه، ص180.

(58) تعتبر المعرفة الذوقية، أعلى أنواع المعارف وألذها لما تتيحه من الإطلاع على الأسرار الربوبية والعلم بترتيب الأمور الإلهية المحيطة بكل الموجودات، وبه تستشعر النفوس عند الاتصاف به كمالها وجمالها. الملالي: المصدر السابق، ص53.

(59) تظهر هذه العلاقة المحمودة لمكانة العقل والذوق في شرح السنوسي لأبيات عرفانية تنسب لأبي إسحاق إبراهيم بن دهاق ومطلعها (البسيط):

رأيتُ ربي بعيــن قَلبــــــي فقلت لا شــك أنت أنــــتَ
أنتَ الذي حُزت كل أيـــنٍ بحيــث لاَ أيــنَ ثــمَ أنــــتَ

فقوله: «رأيت ربي بعين قلبي» يعني عرفت وجوده ما يجب له وما يستحيل وما يجوز ببصيرة قلبي التي هي عين القلب وهو الجزء مني الذي يقوم به العلم والفكرة الصحيحة المصيبة. وقوله: «لاشك أنت أنت» يعني فقلت بقلبي لما عرفته بالبرهان وتميز لي عن كل ما سواه لا شك ولا ريب أنت يا مولاي الموصوف بهذه المحاسن التي أبصرها بالبرهان عين قلبي، وإنما رتب القول على رؤية القلب وهو معرفته بالله تعالى تنبيها على حصول الإيمان عند حصول المعرفة لأن الإيمان على الأصح هو حديث النفس التابع للمعرفة لا نفس المعرفة، خلافاً للأشعري والأفضل أن يكون المراد برؤية عين القلب المعرفة الذوقية التي هي مقام السالكين ويكون حينئذ معنى قوله: أنت أنت الآن بحسب المعرفة الذوقية هو أنت أولا بحسب المعرفة الرسمية التي أنجبتها البراهين العقلية، إذ علامة صحة الذوق أن يجيء على وقف الرسمي. الملالي: المصدر السابق، ص182؛ أعطى الباحث سعيد عليوان تفسيرًا لشرح السنوسي فاعتبر العقل هو المحك والذوق تابعًا له وبذلك تصبح مهمة الذوق التعاطف والتفاعل والهيام في جناب الله عز وجل الذي اقتنعا بوجوده عقليا. فالذوق في نظره يأتي بعد اقتناع العقل. محمد بن يوسف السنوسي وشرحه لمختصره في المنطق، ص 110.

(60) يرى السنوسي أن الفناء والبقاء هما منتهى سفر السالك في تجربة تصوف التوحيد العرفاني. الملالي: المصدر السابق، ص180.

(61) سورة العنكبوت: الآية 69.

(62) سورة المجادلة: الآية 22.

(63) التنبكتي: اللآلئ السندسية، ص 100.

(64) شرح أم البراهين، ص 95.

(65) التنبكتي: اللآلئ السندسية، ص 113، 114.

(66) الملالي: المصدر السابق، ص63.

(67) محمد بن يوسف السنوسي: شرحه لمختصره في المنطق، ص110.

(68) ينتمي محمد بن يحيى إلى قبيلة بني راشد وقد امتاز بالتصوف والورع والأحوال المرضية والكرامات العلية ولم تنحصر استفادته من السنوسي في التوحيد، بل أخذ عنه كذلك الفقه والأصول والبيان والمنطق والحساب والفرائض والنحو. ابن مريم: المصدر السابق، ص 276، 277؛ حسب محمد بن يوسف الزياني فإن محمد بن يحيى المغراوي كانت له تآليف في التوحيد ويعد أول من بث التوحيد في قبيلة غريس. محمد بن يوسف الزياني: دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تقديم وتعليق المهدي البوعبدلي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1978، ص 60، 61.

(69) ابن مريم: المصدر السابق، ص152.

(70) يعتبر القلعي من كبار تلامذة السنوسي وعرف بأنه فقيه سني موحدّ ومتصوف وكثير التمسك بأخلاق السلف الصالح ومن أعماله: أسئلة تزيد عن الخمسين مسألة تسمى بالقلعية. ابن مريم: المصدر السابق ، ص 271.

(71) اشتهر ابن أبي مدين بتدريسه لعقائد السنوسي الصغرى والكبرى وشرح الكبرى. التنبكتي: نيل الابتهاج، ج2، 275.

(72) التنبكتي: نيل الابتهاج، ج2، ص260.